﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشّعراء: 188]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

تَفْويضُ العِلْمِ للهِ فيما يَسْتَحِقّونَ

لَمّا طَلَب قومُ شعيبٍ عليه السلام نُزولَ العَذابِ تعجيزًا لَهُ، ناسَبَ أَنْ يُفَوِّضَ العِلْمَ للّه تعالى، حَيْثُ يَتَوَقَّفُ عَذابُ العُصاةِ على العِلْمِ المُحيطِ بأَعْمالِهِم، والقُدْرَةِ على نَكالِهِم؛ فاسْتَأْنَفَ تَعالَى الحِكايَةَ عَنْهُ في تَنْبيهِهِ لَهُم على ذَلِكَ بقولِهِ: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[1]، فكانَ جَوابُ شُعَيْبٍ بِإِسْنادِ العِلْمِ إِلَى اللّه، فهوَ العالِمُ بِما يَسْتَحِقّونَهُ مِنَ العَذابِ ومِقْدارِهِ[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

الآيـــات والمعجزات التي يؤيد بها الرسل من الله تعالى وحده

شعيب عليه السلام نبيُّ اللّه ورسولُه والعاملُ بأوامرِه وليس له منَ الأمر شيءٌ، لذلك عندما تحدّاه قومُه وطلبوا منه إنزالَ العذاب عليهم أحالَ الأمرَ برمَّتِه إلى ربّه، فهو العليمُ بخلقه القادرُ على إنزال العقاب عليهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

كمالُ الإيمان يستدعي تفويضَ الأمرِ لصاحبِ الأمرِ

جاءتِ الآيةُ الكريمةُ على طريقةِ المُحاوراتِ بفصلِ الجواب: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ حَيْثُ أَثارَ طَلَبُهُم العذابَ مِنَ السَّماءِ سُؤالًا فحْواهُ: وماذا كانَ رَدُّ نَبيّ اللّه شُعَيْبٍ؟ فجاءَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِمَثابَةِ الجَوابِ عَنْ هَذا السُّؤالِ المُقَدَّرِ في النَّفْسِ، وفُصِلَتْ عَنْ سابِقَتِها كَما يُفْصَلُ الجَوابُ عَنِ السُّؤالِ، لِشِبْهِ كَمالِ الاتِّصالِ، وبَلاغَةُ الفَصْلِ تَتَمَثَّلُ في بُعْدِ الشُّقَّةِ بَيْنَ قَوْلِهِم وقَوْلِهِ، وانْفِصامِ العُقْدَةِ بَيْنَ الكلامَيْنِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 90.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 189.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِعُنْوانِ الرُّبوبيَّةِ ﴿رَبِّيٓ﴾:

مَقامُ التَفْويض يُناسِبُهُ عنوانُ الرُّبوبيَّةِ

ذُكِرَ لفظُ الرُّبوبيَّةِ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لِأَنَّ المَقامَ مَقامُ تَفْويضٍ لله ﷻ، وتَسْليم الأَمرِ إِلَيْه في اسْتِحْقاقِهِم العَذابَ ومَوْعِدِ ذَلِكَ وكَيْفيَّتِه، ولا يَقومُ بِذَلِكَ إِلّا رَبٌّ يُدَبِّرُ كَوْنَ عِبادِهِ، ويَطَّلِعُ على سَرائِرِهِم وضَمائِرِهِم.

غَرَضُ الإضافَةِ في ﴿رَبِّيٓ﴾:

أُضيف لفظُ الرّبّ إِلَى ضَميرِ المُتَكَلِّم في قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ للتَّشريف، وتَسْليم الأَمرِ لِرَبِّه وتَفْويضه لَهُ سُبْحانَهُ، واسْتِمدادَ واسْتِمدادِ القوَّةِ منه ﷻ.

دَلالَةُ صيغَةِ ﴿أَعْلَمُ﴾:

الإيـمـاءُ إلى التَّهديدِ القريبِ والوعيد الشَّديد

آثر النَّظمُ الكريم في الآية ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ استعمالَ صيغَة (أَفْعَل) دون المضارع (يعلم)، لا لِلتَّفْضيلِ، وإِنَّما للمُبالَغَةِ في بيان العِلْم؛ فكانَ جَوابُ شُعَيْبٍ بِإِسْنادِ العِلْمِ إِلَى الله العالِمِ بما يَسْتَحِقّونَهُ مِنَ العَذابِ ومِقْدارِه[1]، وقد اشتملت هذه الصّيغةُ في هذا السّياقِ على معنى التَّهديد والوعيد؛ إذ لمّا طلبوا إسقاط الكِسف منَ السَّماء، نَسبَ عِلمَ ذلك لربِّ العالمين، للإيماءِ إلى أنَّ العذابَ إنَّما هو بأمرِ الله تعالى، فليحذروا عاقبةَ طلبهم واستهزائِهم.

نوعُ (ما) ودلالَتُها:

عِلْمُه سُبْحانَهُ محيطٌ بِأعمالِ العِبادِ ظاهِرًا وباطِنًا

(ما) في قَوْلِ الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تَحتملُ أَنْ تَكونَ مَوْصولَةً، وما بَعْدَها صِلَةٌ، أَي: أَعْلَمُ بِالَّذي تَعْمَلونَهُ، وتحتمل أَن تَكونَ مَصْدَريَّةً، وهي وما بَعْدَها مؤوَّلٌ بِالمَصْدَرِ، أَي: رَبّي أعلَمُ بِعَمَلِكُم؛ وكِلا التَّوْجيهَيْنِ يُشيرُ إِلَى إحاطَةِ عِلْمِه سُبْحانَهُ بِعَمَلِهِم إحاطَةً شامِلَةً لِلظَّواهِرِ والبَواطِنِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 189.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في ذِكرِ العَمَل:

قَوْل شُعَيب عليه السلام: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ كنايةٌ عن الجزاءِ، الّذي هو العذابُ، وقَومُه إنَّما طَلَبوا ذَلِكَ لِاسْتِبْعادِهِم وُقوعَهُ، فظَنّوا أَنَّهُ إذا لَم يَقَعْ ظَهَرَ كَذِبُهُ؛ فعِنْدَها قالَ شُعَيْبٌ عليه السلام: ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فلَم يَدْعُ عليهِم، بَلْ فوَّضَ الأَمرَ فيه إلَى اللّه تَعالَى، فلَمّا اسْتَمَرّوا في التَّكْذيبِ أَنْزَلَ اللّه عليهِمُ العَذابَ، على ما اقْتَرَحوا مِنْ عَذابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ إنْ أَرادوا بِالسَّماءِ السَّحابَ، وإنْ أَرادوا الظُّلَّةَ فقَدْ خالَفَ بِهِم عَنْ مُقْتَرَحِهِم[1]، فكَنّى عَنِ العَذابِ والجَزاءِ بِالعَمَلِ أَمَلًا في رُجوعِهِم إلَى اللّه تعالى، وتركِ ما هم فيه من المعاصي والمفاسِد.

قيمُ الهدايةِ مبثوثةٌ في نظْمِ القرآنِ وألفاظِه المنتقاة

فائِدَةُ حَذْفِ مفعولِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

حُذِفَ مفْعولُ العَمَلِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ليَصْلُحَ لِلاتِّساعِ لِكُلِّ عَمَلٍ وقَوْلٍ، وتَفْويضِ أَمرِ نُزولِ العَذابِ ووَقْتِه المُقَدَّرِ إلَى عِلْمِ اللّه تعالى.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العملُ والفعلُ:

الفعل كون الشَّيء مُؤثِّرًا في غيره، وهو أعمُّ من معنى سائر أخواته، نحو: العملِ، والصُّنع، والإبداع، والإحداثِ، والخلق، والكسب... فالعمل يُطلَق على كلِّ فعلٍ صادرٍ منَ الحيوان بقصدٍ، فلا يُقال إلّا لِما كان منَ الحيوان، دون ما كان منَ الجماد، ولِما كان بقصدٍ وعلمٍ، دون ما لم يكن عن قصدٍ وعلمٍ؛ فهو أخصُّ منَ الفعل.

العملُ فِعْلٌ صادر عن قصدٍ، والفعلُ أعمُّ منه

والعمل لا يُقال إلّا ما كان عن فِكْرٍ ورَوِيَّة؛ ولهذا قُرن بالعلم،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 528.

فقيل: عِلْمٌ وعَمَلٌ، حتَّى قال بعض الأدباء: قُلِبَ لَفْظُ العمل عن لفظ العلم تنبيهًا أنَّه من مُقتضاه، فالفعل لفظ عامٌّ يُقال لِما كان بإجادةٍ وبدونها، ولِما كان بعلمٍ أو بغيرِ علم، وبقَصْدٍ أو بغير قَصْدٍ، ولِما كان منَ الإنسان والحيوان والجماد؛ والعملُ أخصُّ منه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»